The Emergence of Modern Shiite Seminaries (Qom School as a Model)

Assist Lecturer: Abbas Jasim Nasser
University of Basrah
Basrah and Arabian Gulf Studies Center
E-mail: abbas.al-mawla@uobasrah.edu.iq

Abstract:

The crystallization and development of scientific seminaries are attributed to scientific and cultural progress, as well as the diversification of methods of presenting noble Hadiths. The first Shiite scientific seminary emerged in Medina, considered the largest modern school, followed by the school of Kufa, then the school of Khorasan. The Qom school is considered one of the first scientific schools to transform into a modern seminary during the era of occultation.

The scholarly figure who elevated Qom in the science of Hadith is Ahmad ibn Muhammad ibn Isa al-Ash'ari, who vigorously opposed extremists and those who narrate from the weak, and even expelled some scholars on charges of extremism.

Qom was founded in the 23rd year of Hijra by Abu Musa al-Ash'ari, and the migration of Lady Fatimah al-Ma'sumah, the daughter of Imam Musa al-Kadhim (peace be upon him), to this city in the early third century and her burial in that spot became a reason for further attention by the Shia and the development of the Shia movement there.

Most of the migrants to Qom were Arabs in the first century of the Hijra, and most of them were from the tribe of Sa'ib ibn Malik al-Ash'ari.

Key Features of the Qom School: Rich heritage, adherence to textual sources, non-reliance on opinion and analogy in legal judgments, confronting those who narrate from the weak, presenting narrations that indicate extremism, and prolific writing and compilation.

Key words: Modern seminaries, Qom school, Ahmad ibn Muhammad ibn Isa, extremism, analogy, intellectual considerations.

نشوء المدارس الحديثية الشيعية (مدرسة قم انموذجاً)

أ.م. عباس جاسم ناصر

جامعة البصرة / مركز دراسات البصرة والخليج العربي

E-mail: abbas.al-mawla@uobasrah.edu.iq

الملخص:

يعزى تبلور الحوزات العلمية وتطورها الى التقدم والتطور العلمي والثقافي وتنوع أساليب عرض الأحاديث الشريفة، وأول حوزه علمية شيعية كان نشوؤها في المدينة المنورة، إذ تعد أكبر المدارس الحديثية، ثم مرسة الكوفة، ثم مدرسة خراسان، أما مدرسة قم فهي تعتبر من أوّل المدارس العلمية التي تحولت الى مدرسة حديثية في عصر الغيبة.

إن الشخصية العلمية التي ارتقت بمدينة قم في علم الحديث هو احمد بن محمد بن عيسى الاشعري الذي واجه الغلاة ومن يروي عن الضعفاء بشدة، وقد قام بطرد بعض العلماء بتهمة الغلو.

فتحت مدينة قم في سنة ٢٣ للهجرة، على يد أبي موسى الاشعري، وان هجرة السيدة المعصومة بنت الأمام الكاظم (عليه السلام) الى هذه المدينة فى اوائل القرن الثالث ودفنها في تلك البقعة صار سببا للمزيد من اهتمام الشيعة بها وتطور الحركة الشيعية فيها.

إن اكثر المهاجرين الى قم كانوا من العرب فى القرن الاول الهجري، وكان اكثرهم من قبيلة سائب بن مالك الاشعري.

من خصائص مدرسة قم: إحتواؤها على التراث الغني، اتباع النص، عدم الاعتماد على الرأي والقياس والاستحسانات العقلية في الاحكام الشرعية، مواجهة من يروي عن الضعفاء، طرح الروايات التي يستشعر منها الغلوّ، وكثرة التأليف والتدوين.

الكلمات المفتاحية : المدارس الحديثية ، مدرسة قم ، أحمد بن محمد بن عيسى ، الغلو ، القياس الاستحسانات العقلية

مقدمة:

إن مبدأ مدرسة الحديث هو مدينة الرسول(صلى الله عليه وآله)حيث عاش رسول الله(صلى الله عليه وآله) واهل بيته(عليهم السلام) واصحابه الكرام وكان الناس يتوافدون الى المدينة لزيارة الرسول(صلى الله عليه وآله) واهل البيت (عليهم السلام) للاقتباس من انوارهم والأخذ من علومهم، وبعد ان هاجر الصحابة والتابعين الى مختلف الامصار اخذوا بنشر احاديث النبي والائمة الى مهاجرهم الجديدة وانتقلت مدرسة الحديث الى الكوفة وبانتقال امير (عليه السلام) إليها صارت الكوفة مصدراً ثانياً للحديث الشيعي فكان الوافدون على الكوفه ينقلون احاديث امير المؤمنين الى سائر الأقطار، وأمّا كيفية نشر الحديث في تلك الربوع فتختلف بحسب استعداد الرواة وامكاناتهم.

وفي بعض مدن البلاد الاسلامية اخذ نشر الحديث يأخذ صوراً جديدة في كيفية عرضه على الناس، فتكونت حوزات علمية صغيرة للحديث وطلب العلم فى تلك المدن، ومنها مدينة قم إذ أصبحت من الحواضر العلمية التي كرسرت اهتمامها بنشر علوم أهل البيت وانصب اهتمامها بعلم الحديث ونشره.

واشتمل البحث على عدة مباحث:

الأوّل: نشوء المدارس الحديثية عند الشيعة

الثاني: مدينة قم نواة التشيع الخالص في إيران

الثالث: خصائص مدرسة قم الحديثية

الرابع: بعض المطالب المرتبطة مدرسة قم الحديثية

المبحث الأوّل: نشوء المدارس الحديثية عند الشيعة

على أثر التقدم والتطور العلمي والثقافي وتنوع أساليب عرض الأحاديث تبلورت الحوزات العلمية واخذت طابعاً خاصّاً، وكانت الحوزات التي تهتم بالحديث وعرضه بأساليب متعددة وشروط خاصة تعتبر « مدارس حديثية».

وأول حوزه علمية شيعية تكونت في المدينة المنورة حيث كانت مقراً لإقامة الأئمة المعصومين(عليهم السلام) منذ عصر الامام الحسن(عليه السلام) وحتى عصر الامام الجواد(عليه السلام)، وكان رواد الحديث وطلابه يقصدون المدينة المنورة من اطراف العالم الاسلامي للاستفادة من نمير أهل البيت(عليهم السلام) ونقل احاديثهم الى بلادهم.

وقد أقام المحدث الشيعي الكبير محمد بن مسلم الطائفي في المدينة المنورة أربع سنوات للانتهال من علوم الإمام محمد الباقر(عليه السلام)[١].

وثاني اكبر الحوزات العلمية الحديثية للشيعة هي الكوفة، والتي عرفت بتشيعها منذ استقرار أمير المؤمنين(عليه السلام) فيها[٢]، فقد هاجر الى الكوفة بعد حرب الجمل (سنة ٣٥ هـ) وبقى فيها حتى استشهاده في سنة ٤٠ للهجرة، واثرى بوجوده الكوفة وماحولها، بالعلوم الدينية والمعارف الالهية وقام بتربية ثلة من العلماء الاعلام من امثال حجر بن عدي وكميل بن زياد ورشيد الهجري والأصبغ بن نباته.

وثالث الحوزات العلمية الشيعية للحديث كانت هي خراسان، تلك المدينة التي ازدهرت بالعلوم بقدوم الامام على بن موسى الرضا(عليه السلام) لها فى سنة ٢٠١ هـ، فقد اقام فيها ثلاث سنوات الى حين استشهاده في عهد الخليفة المأمون العباسي سنة٢٠٣ هـ، وكان لوفرة الامكانات التبليغية وارتفاع الضغط عن الائمة نسبياً، وحضور علماء سائر المذاهب وعقد المجالس للمناظرة والبحث في مختلف العلوم الأثر الكبير في أن تصبح خراسان من أوسع الحوزات العلمية نشاطاً واكثرها ثماراً[٣].

أما مدرسة قم فهي تعتبر من أوّل المدارس العلمية[٤] التي تحولت الى مدرسة حديثية في عصر الغيبة وذلك لرجوع العلماء والرواة اليها لتصحيح الاحاديث وأخذها وعرضها على العلماء، وهذا يقتضي تفصيلاً اكثر.

المبحث الثاني: مدينة قم نواة التشيع الخالص في إيران

فتحت مدينة قم في سنة ٢٣ للهجرة، على يد أبي موسى الاشعري[٥]، ويقال: بأن قم إنما بُنيت في الاسلام ولم تكن موجودة قبل ذلك[٦]، وهذا الرأي لم يلق إجماعاً لدى المؤرخين، فقد وقع الخلاف في تاريخ تمصيرها بين العلماء والمؤرخين[٧]، والمهم فى تاريخ قم انها كانت مهجر كثير من مناوئي الحكم الاموي والعباسي، واكثر المهاجرين اليها كانوا من العرب فى القرن الاول الهجري، وكان اكثرهم من قبيلة سائب بن مالك الاشعري، أو سعد بن مالك[٨] وكانوا من الشيعة المناوئين لحكم الأمويين.

وكان لاجتماع هؤلاء فى قم الأثر الكبير في رواج الفكر الشيعي واستقطاب المهاجرين الشيعة الى مدينة قم[٩]. وبمرور الزمن اصبحت قم من أهم مراكز التشيع فى العالم ومأوى الشيعة المضطهدين[١٠].

ومن خصائص قم كونها بعيدة عن مركز الخلافة، وعدم وجود مصالح اقتصادية وجغرافية خاصة توجب اهتمام الحكام بها، وهذا مما كفل للشيعة العيش بأمان.

وهناك روايات كثيرة في مدح قم وأهلها رويت عن الامام الصادق(عليه السلام) وغيره من ائمة أهل البيت(عليهم السلام) وبعض هذه الروايات يختص بزمان صدورها بينما بعضها الاخر هي تنبؤات بما سوف يحصل فى اخر الزمان من انتقال المركز العلمي للشيعة الى مدينة قم وكونها مأوى للمضطهدين من الشيعه[١١].

كما ان هجرة السيدة المعصومة بنت الأمام الكاظم(عليه السلام) الى هذه المدينة فى اوائل القرن الثالث[١٢] ودفنها في تلك البقعة صار سببا للمزيد من اهتمام الشيعة بها وتطور الحركة الشيعية فيها.

ووكالة زكريا بن آدم – وهو أول عالم من قم يذكر في المصادر الحديثية والرجالية وحظي بتأييد وتوثيق الامام الرضا(عليه السلام)[١٣] وعدّه الشيخ الطوسي من الوكلاء الممدوحين للائمة(عليهم السلام)[١٤] – دليل آخر على شيوع التشيع في هذه المدينة وكثرتهم فيها.

وكذلك احمد بن اسحاق القمي وهو من احفاد سعد بن مالك كان وكيلاً للائمة (عليهم السلام) ايضاً[١٥].

والشخصية العلمية التي ارتقت بمدينة قم في علم الحديث هو أحمد بن محمد بن عيسى الاشعري الذي عارض وجود الغلاة وكان شديداً على من يروي ما يشم منه رائحة الغلو، وكذا من يروي عن الضعفاء، وقد قام بطرد بعض العلماء بهذه التهمة (الغلو).

وكان هو وجماعة ممن كانوا على رأيه قد قرّروا شروطاً خاصة فى عرض وطلب الحديث، وبهذا امتازت مدرسة قم عن سائر المدارس الحديثية الاخرى.

وتميز المدرسة الحديثية لمدينة قم يعود لجهود احمد بن محمد الذي بلورها وروَّج لها لتأخذ مكانها بين سائر مدارس الحديث.

وأوج ازدهار هذه المدرسة من أوائل القرن الثالث الهجري الى أواخر القرن الرابع، أي ما يقارب مائتي سنة، وكانت آنذاك تعتبر من المراكز المهمة للحديث عند الشيعة وانجبت طوال القرنين الكثير من العلماء والمحدثين، وكثرت نتاجاتهم الحديثية بشكل ملموس.

وكان لعلماء قم الاثر البالغ في نقل المعارف الدينية والحديثية الى المجتمع بصورة عامة، كما كان لها التاثير المباشر فى الربط بين الحوزة الحديثية للكوفة وبين حوزة بغداد.

والحوزه الحديثية في الكوفة كانت من اهم الحوزات العلمية للشيعة فى عصر الائمة(عليهم السلام) وكان لظهور الغلاة في الكوفة تاثير بالغ في النشاط الحديثي هناك، وكانت قم هي التي اعادت للحديث مكانته؛ وذلك بمحاربة ظاهرة الغلو، ومن هنا كانت الاحاديث التي تصدر عن قم هى أقرب الى الصحة من غيرها.

ومن اشهر خصائص علماء قم هو التقيد بالنصوص الحديثية والابتعاد عن ما يوجب اتباع الرأي والقياس، وهذا ما دفع الحسين بن روح ان يعرض كتابه « التأديب » على علماء قم للتأييد أو ابداء الرأي فيه[١٦].

المبحث الثالث: خصائص مدرسة قم الحديثية

كان لمدرسة قم خصائص تميزها عن سائر المدارس الحديثية وكانت بعض تلك الخصائص موجودة فى مدرستي الكوفة وبغداد ايضاً، ومن أهم تلك الخصائص:

١ . إحتواؤها على التراث الغني:

ان هجرة الرواة والمحدثين من الحوزات العلمية الى قم وكذلك هجرة كبار علماء قم الى سائر البلاد الأخرى ولقاؤهم بالمشايخ والرواة في البلدان الاخرى، ثم اجتماع العلماء في قم وتبادل الافكار فيما بينهم ادى الى ثراء هذه الحوزة وغناها.

وقد أرسلت مدرسة الكوفة الحديثية العديد من علمائها الى قم بحيث صاروا هم المؤسسين للحوزة فيها، وكانوا هم المحور لعلم الحديث فيها.

وأول من هاجر من الكوفة الى قم هو سعد بن مالك الاشعري، وكذا ابراهيم بن هاشم وهو أول من نشر احاديث الكوفة في قم[١٧]، وكذلك الحسين بن سعيد الأهوازي مؤلف الثلاثين كتاباً، أيضاً ممن نقل الاحاديث الى قم؛ وهو من مشايخ أحمد بن محمد بن عيسى مؤلف كتاب (النوادر) في قم.

وكانت سيرة العلماء في تلك الأزمنة قائمة على الهجرة لطلب الحديث وعرضه على الاساتذه، فقد قام كثير من علماء قم برحلات الى المدن المجاورة والنائية لسماع الاحاديث والتحديث بها وعرض رواياتهم على مشايخها.

فقد هاجرت اول مجموعة من المحدثين الى المدينة ومكة والكوفة ومرو، وسافرت مجموعة اخرى الى بغداد والبصرة وسامراء والاهواز ونيشابور وسمرقند حتى وصلوا الى الشام ومصر(١٨).

كما هاجر علماء من تلك الديار الى قم مما سبب انتشار الحديث بشكل واسع في قم.

وللشيخ الصدوق اسفار في طلب الحديث ونشره الى كثير من البلدان، وله اكثر من مائتي شيخ من غير القميين، وفى مجالس املائاته تصريح باماكن عديدة عقد فيها المجالس، وقد سافر الى ما يقرب من ثلاثة عشر مدينة لنقل الحديث من مشايخها(١٩).

٢. اتباع النص:

ومما يميز مدرسة قم الحديثية هو اتباع نصوص الاحاديث بالدرجة الاولى، وعدم السماح للعقل بالتدخل فى تحليل وتأويل الاحاديث.

ونظرة واحدة في مؤلفات الشيخ الصدوق يمكن الوقوف على هذه الميزة بشكل واضح وبه تمتاز مدرسة قم عن المدرسة الحديثية في بغداد، وبهذا صارت مدرسة قم تستقل في فهم الحديث على اساس نفس النصوص بعيداً عن إعمال العقل فيها، بل وانعكس ذلك على الاحكام الشرعية فكان هذا هو المسلك المعروف في مدرسة قم، فانهم كانوا يكتفون بنصوص الاحاديث في صياغة الحكم الشرعي بشكل مستقل، وهو ما يعرف اليوم (بالفقه المأثور)، ومن نماذج هذا الاسلوب كتاب الهداية والمقنع للشيخ الصدوق، وكتاب الاعتقادات (فى بحث العقائد)

وقد سرى هذا الاسلوب من مدرسة قم الى بعض المدارس الحديثية الشيعية.

٣. عدم الاعتماد على الرأي والقياس والاستحسانات العقلية في الاحكام الشرعية:

القياس هو إعمال الرأي في استنباط الاحكام الشرعية، وهذا ما رفضه الائمة(عليهم السلام) بشكل قاطع، وقالوا ان دين الله لايقاس بالعقول، وأن السنة اذا قيست مُحق الدين مؤكدين على عدم صحة الاعتماد على القياس(٢٠) والاستحسان(٢١) في معرفة الاحكام الشرعية.

فكان من الطبيعي ان يبتعد علماء قم . وهم اتباع الائمة(عليهم السلام) . عن هذين المسلكين؛ بل تعدوا ذلك الى منع كل اجتهاد واستنباط خارج عن مضمون النصوص، حتى لوكان في حدود الفقه، وكانوا

يحترزون عن النقد العقلي حتى في المجالات الفكرية الاخرى، وقد منع الشيخ الصدوق الجدل والبحث في الله وامور الدين استناداً الى الروايات[٢٢] التي تمنع من الجدل والنقاش بصورة مطلقة[٢٣].

وهذا بخلاف ماكانت عليه مدرسة بغداد؛ فإن الشيخ المفيد وتلامذته كانوا يصرون على عدم اتباع هذه الفكرة وبهذه السعة والتحول ولذا فهو يوجه اشد الانتقادات الى الشيخ الصدوق في كتابه تصحيح الاعتقاد ورسالته حول العدد. قال رحمه الله: « لكن اصحابنا المتعلقين بالأخبار أصحاب سلامة وبعد ذهن وقلة فطنة يمرّون على وجوههم فيما سمعوه من الاحاديث ولاينظرون في سندها ولايفرقون بين حقها وباطلها ولايفهمون مايدخل عليهم فى اثباتها ولا يحصلون معاني ما يطلقونه منها » [٢٤].

وتمسك القميين بالنصوص واجتنابهم عن التحليل والنقد بالنسبة الى مضامينها اوجب ان يتصور بعضهم جواز السهو على النبي(صلى الله عليه وآله) في غير موارد التبليغ[٢٥] أو ان يقولوا بوجوب كون شهر رمضان ثلاثين يوماً دائماً بدون ان ينقص في شهر من الشهور.

٤. مواجهة من يروي عن الضعفاء:

ان مواجهة علماء قم لمن يروي عن الضعفاء ويعتمد المراسيل كان حازماً وشديداً؛ إذ حكم بعضهم على تهجير بعض الرواة والفقهاء من قم لمجرد روايتهم الاحاديث الضعاف بكثرة مثل احمد بن محمد بن خالد البرقي صاحب كتاب (المحاسن)، فقد أُجبر على مغادرة قم بأمر من احمد بن محمد بن عيسى[٢٦]، إلا أنه في اخر حياته ندم على ما صدر منه تجاه البرقي فاعتذر اليه وأرجعه الى قم [٢٧].

وكان لمحمد بن الحسن بن الوليد . استاذ الشيخ الصدوق . مواقف مشابهة بالنسبة الى من يروي عن الضعفاء، فهو يحكم بالضعف بالنسبة الى بعض رواة كتاب (نوادر الحكمة) لمحمد بن أحمد بن يحيى الأشعري القمي، ويعد رواياتهم غير معتبرة فهو يروى كل كتب محمد بن الحسن الصفار الا كتاب بصائر الدرجات فإنه لايرويه عنه[٢٨].

٥ . طرح الروايات التي يستشعر منها الغلوّ :

ان من جملة ما تميزت به مدرسة قم عن سائر المدارس الحديثية انها كانت تحارب بشدة فكرة الغلو وتطرح كل رواية يستشعر منها ذلك، وهذا ادى الى طرح بعض الروايات التي لم تعتبرها المدارس الأُخرى غلواً.

وقد مارس القميون الطرد والابعاد والمنع عن الحضور في مجالس التحديث والاجتماعات العلمية مع من كان يميل في افكاره الى الغلو، ومن الذين أخرجهم أحمد بن محمد بن عيسى الأشعري سهل بن زياد

الرازي الآدمي الذي كتب عنه النجاشي: « كان ضعيفاً في الحديث، غير معتمد عليه منه، وكان احمد بن محمد بن عيسى يشهد عليه بالغلو والكذب، واخرجه من قم الى الري وكان يسكنها »[٢٩].

وقال ابن الغضائري[٣٠] فيه: «.. اخرجه عن قم، وأظهر البراءة منه ونهى الناس عن السماع منه والرواية عنه »[٣١].

واستثنى محمد بن الحسن بن الوليد روايات سهل بن زياد من كتاب نوادر الحكمة ولم يعتد بها[٣٢]، ومثل ذلك تعامل مع أبي سمينة[٣٣]، فقد هاجر من الكوفة الى قم ونزل عند احمد بن محمد بن عيسى وعند ما عرف بالغلوّ، اخرجه احمد من داره بل واخرجه من مدينة قم[٣٤].

وكذلك الامر بالنسبة الى حسين بن عبد الله القمي، وعلي بن محمد بن شيرة القاشاني والقاسم بن حسن بن على بن يقطين واحمد بن حسين بن سعيد الاهوازي وغيرهم ممن اتهموا بالغلو فابعدوا عن المجتمع[٣٥].

بل ان هناك من اتهم بالغلو وحكم عليه بأشد من ذلك، فقد ورد بالنسبة الى محمد بن أورمة ما نصُّه: « ذكره القميون وغمزوا عليه ورموه بالغلو حتى بعثوا اليه من يفتك به، فلقيه يصلي من أول الليل إلى آخره فتوقفوا عنه، وحكى جماعة من شيوخ القميين عن ابن الوليد أنه قال: محمد بن أورمة طعن عليه بالغلو، فكل ما كان في كتبه مما وجد في كتب الحسين بن سعيد وغيره فقل به ، وما تفرد به فلا تعتمده ، وقال بعض أصحابنا : إنه رأى توقيعا من أبي الحسن الثالث[٣٦] (عليه السلام) إلى أهل قم في محمد بن أورمة وبراءته مما قذف به »[٣٧].

المبحث الرابع: بعض المطالب المرتبطة بمدرسة قم الحديثية

١. تعريف الغلو عند القميين:

ان معنى الغلو عند القميين واسع، فقد ذكر الشيخ الصدوق في مسألة جواز السهو على النبي(صلى الله عليه وآله) ما نصه: ان الغلاة والمفوضة لعنهم الله ينكرون سهو النبي ويقولون: لو جاز أن يسهو(عليه السلام) في الصلاة لجاز أن يسهو في التبليغ.... وكان شيخنا محمد بن الحسن بن أحمد بن الوليد رحمه الله يقول: اول درجة في الغلو نفي السهو عن النبي(صلى الله عليه وآله) ولو جاز ان ترد الأخبار الواردة في هذا المعنى لجاز ان ترد جميع الأخبار »[٣٨].

وهذه النظرية لو قورنت بما هو المشهور عند الشيعة . بعد الشيخ المفيد(رحمه الله) . من ان النبي(صلى الله عليه وآله) والائمة منزهون عن السهو والنسيان في جميع احوالهم وطول حياتهم[٣٩]، تبدو عجيبة.

٢. كيفية التعامل مع الرواة عن الضعفاء أو المتهمين بالغلوّ:

ان مواجهة القميين عملياً مع من يروي عن الضعفاء كثيراً، أو مع من يتهم بالغلو لم تكن على وتيرة واحدة، فحينما يؤمر باخراج سهل بن زياد من دار مضيِّفه بل يُخرج من قم لمجرد الاتهام نرى ان الكافي يحتوي على اكثر من ألفي حديث مروي بطريق سهل بن زياد[٤٠] والظاهر ان هذه المواجهات انما كانت في عصر أحمد بن محمد بن عيسى ومن قبله فقط، ولايمكن الوقوف على السبب الرئيس في مواجهته بهذه الشدة مع المتهمين بالغلو، أو الناقلين عن الضعفاء، ولعل ذلك أنه أراد ان يثبت في قم دعائم أصول الرواية التي كان يتبناها من لايعتمد على الضفعاء ولا يروي عن الغلاة والدليل على ذلك انه رجع عن فعله وعمّا بدر منه، وان الشيخ الصدوق قد روى هو بنفسه عن سهل بن زياد وعن ابي سمينه ايضاً، وروايات أبي سمينة موجودة في الكافي ايضاً[٤١].

٣. مَراتب الغلوّ:

تقدم ان من أراد ان يفتك بمحمد بن أرومة أعرض عنه عندما رآهُ يصلي من أول الليل الى آخره، ولعله لذلك لم يعتبره من الغلاة، ويظهر من هذا أن عقوبة الغلو عند القميين هي القتل إذا كان الغلو مؤدياً الى ترك الواجبات العبادية كالصلاة ونحوها، أما إذا كان الغلو في الصفات، واعتبار الائمة(عليهم السلام) من الذين هم دون الخالق وفوق المخلوقين من جهة ما يتصفون به من كمالات وعلم، لم يكن موجباً للقتل عندهم، غاية الامر كانوا يطردونه لئلا تكون هذه الظاهرة مقدمة للغلو المخرج عن الدين.

ومن هنا روي أن الإمام الحسن العسكريّ (عليه السلام)، أنكر على علي بن حسكة [٤٢] الذي يدّعي أنّ الصلاة، والزكاة، والحجّ، والصوم كلّ ذلك معرفة الإمام، فقد لعنه الإمام وكذبه لعقيدته الفاسدة [٤٣]؛ لأن هذا الاعتقاد يؤدّي إلى الاعتقاد بسقوط التكليف عن العارف بالإمام، وبالتالي تركه عمليًّا، ولذا روي عن الإمام الصادق عليه السلام: «الغالي قد اعتاد ترك الصلاة والزكاة والصيام والحج فلا يقدر على ترك عادته وعلى الرجوع إلى طاعة الله عز وجل أبداً» [٤٤].

وقد ذكر العلاّمة المجلسيّ أموراً تعد من محققات الغلوّ المخرج عن الدين، من جملتها: «... القول أنّ معرفتهم [أي النبي (صلى الله عليه وآله والأئمة (عليهم السلام)] تغني عن جميع الطاعات، ولا تكليف معها بترك المعاصي، والقول بكلّ منها إلحاد وكفر، وخروج عن الدين كما دلّت عليه الأدلّة العقليّة، والآيات، والأخبار» [٤٥].

٤. التغاير في الحكم :

ان الشيخ الصدوق الذي يتبع استاذه محمد بن الحسن ابن الوليد في القول بسهو النبي ويعتبر نفي ذلك من اوائل مراحل الغلو[٤٦]، هو نفسه يروي نص زيارة الجامعة الكبيرة في كتابه، ولو كان قد التزم بما قاله استاذه لأهمل هذا النص واعتبره من الغلو في الائمة(عليهم السلام) [٤٧].

إذاً، كيف يمكن الجمع بين تبنِّي هذين الاتجاهين من قبل الشيخ الصدوق؟

والجواب: لعل القول بسهو النبي(صلى الله عليه وآله) كان تبعاً لما ذهب اليه القميون من عدم قبول ردّ الاخبار بالادلة غير القطعية، خصوصاً الادلة العقلية، وأنهم كانوا يرون أن تأويل الاخبار بالادلة العقلية يجرّ الى رد جميع الأخبار، وان العقل لا يمكنه ادراك مغزى الاحكام الشرعية، وعليه يؤول الأمر الى إهمال كل الأخبار، ويدل على ذلك ما صرح به الشيخ الصدوق بقوله: « ولوجاز أن ترد الأخبار الواردة في هذا المعنى لجاز أن ترد جميع الاخبار»[٤٨].

واما بالنسبة الى تبنِّيه نقل زيارة الجامعة الكبيرة فهذا يعتمد على الاسس التي وضعتها مدرسة قم الحديثية من الالتزام بالنصوص الصحيحة السند[٤٩]، فهي شبيهة بالروايات الواردة في سهو النبي(صلى الله عليه وآله) فيجب قبولها وان لم يدرك العقل مغزاها.

٥. كثرة التأليف والتدوين:

ما يميز مدرسة قم الحديثية هو كثرة التأليف والتدوين، فقد بادر علماء قم بتأليف كتب متنوعة في متون حديثية شتى، وقد أحصى بعض المحققين ما ألَّفه علماء قم فبلغ ما يقرب من (١٠٠٠) كتاب حديثي[٥٠]، ولا غرابة في ذلك إذا علمنا أن الشيخ الصدوق وحدة قد ألف ما يقرب من (٣٠٠) كتاب حديثي، ويعود ذلك الى كثرة العلماء كثيرين أجهدوا أنفسهم في مهمة التدوين، فقد ذكر العلامة المجلسي الاول محمد تقي والد العلامة المجلسي صاحب البحار: «أنه كان في زمان علي بن الحسين بن موسى بن بابويه المتوفى سنة ٣٢٩ هـ – والد الصدوق مؤلف كتاب من لا يحضره الفقيه – في قم من المحدثين مائتا ألف رجل»[٥١].

الخاتمة:

١. اول حوزه علميه شيعيه تأسست في المدينة المنورة حيث كانت سكن ومستقر الأئمة المعصومين منذ عصر الامام الحسن(عليه السلام) وحتى عصر الامام الجواد(عليه السلام)، وكان رواد الحديث وطلابه يقصدون المدينه للاستفاده من نمير علم أهل البيت(عليهم السلام).

٢. بعد ان حصلت هجرة الصحابة والتابعين الى مختلف الامصار اخذوا بنشر احاديث النبي(صلى الله عليه وآله) والائمة(عليهم السلام) الى مهاجرهم الجديدة وبانتقال أمير (عليه السلام) الى الكوفه صارت الكوفة مصدراً ثانياً للحديث الشيعي.

٣. تعتبر مدرسة قم من اولى المدارس العلميه التي تحولت الى مدرسة حديثية في عصر الغيبة؛ وذلك لرجوع العلماء والرواة إليها لتصحيح الأحاديث وأخذها وعرضها على علمائها.

٤. وقع الخلاف فى تاريخ تمصّرها بين العلماء والمؤرخين، والمهم فى تاريخ قم انها كانت مهجر كثير من مناوئي الحكم الاموي والعباسي واكثر الذين هاجروا اليها كانوا من العرب فى القرن الاول الهجري.

٥. المدرسة الحديثية المتميزة لمدينة قم تطورت بجهود احمد بن محمد بن عيسى الذي بلورها وروَّج لها لتأخذ مكانها المتميز بين سائر مدارس الحديث.

٦. من خصائص مدرسة قم الحديثية: إحتوائها على التراث الغني، والتقيد باتباع النص، وعدم الاعتماد على الرأي والاستحسانات العقلية في الاحكام، والمواجهة بشدة لمن يروي عن الضعفاء، وطرح الروايات التي يستثعر منها الغلوّ.

٧. مواجهة القميين لمن يروي عن الضعفاء كثيراً، أو من يتهم بالغلو لم تكن على وتيرة واحدة فحينما يؤمر باخراج سهل بن زياد من قم لمجرد الاتهام نرى أن الكليني يضمّن كتابه الكافي أحاديث كثيرة مروية بطريق سهل بن زياد.

٨. من مميزات مدرسة قم الحديثيه هي كثرة التاليف والتدوين فقد بادر علماء قم بتاليف كتب متنوعة فى متون حديثية شتى.

الهوامش:

١. الخوئي، أبو القاسم، معجم رجال الحديث: ج٨: ص٢٦٦.

٢. ان وجود امثال عمار بن ياسر ومالك الاشتر وزيد بن صوحان وصعصعة بن صوحان، وعبد الله بن بديل، وكميل بن زياد وحجر بن عدي في الكوفة كان له تاثير مباشر في شيوع الفكر الشيعي في الكوفة وهؤلاء كانوا من اهم المعارضين لولاة عثمان، وقد امر عثمان بنفيهم من الكوفة ولكن بعد موته رجعوا الى الكوفة.

٣. الصالحي، عبد الحسين، الحوزات العلمية في الأقطار الإسلامية: ص١٧٧.

٤. ان الترديد في أوليّة قم في الحديث انما هو على اساس عدم وضوح وضع الكوفة في ذلك العصر وهل ان الكوفة كانت بها خصائص متميزة في قبول أو رد الأحاديث ام لا؟ فان الكوفة كانت بلا شك أقدم من قم فإنها بُنيت في سنة ١٧ للهجرة فاذا ثبت انها كانت ذات مدرسه مستقله فهي أولى مدارس الحديث للشيعة واما ان ثبت انها كانت مجرد مركز لتبادل الحديث وان اول مدرسة حديث تكون قم. والظاهر ان الكوفة لم تكن ذات طابع خاص في قبول أورد الأحاديث في اي عصر من العصور السالفة.

٥. ينظر: البلاذري، أحمد، فتوح البلدان: ج٢، ص٣٨٣.

٦. ياقوت الحموي، معجم البلدان ج٤: ص٣٩٧

٧. فيض قمي، عباس، گنجينه آثار قم (بالفارسية) ج١: ص٧٤ . ٨٠

٨. رجال النجاشي: ص٨١.

٩. معجم البلدان ج٤: ص٣٩٧.

١٠. المجلسي، محمد باقر، بحار الانوار: ج٥٧: ص٢١٤

١١. المصدر نفسه: ج٥٧، ص٢١٢ . ٢٢١.

١٢. ينظر: النمازي الشاهرودي، علي، مستدرك سفينة البحار: ج٨، ص٢٦١.

١٣. الطوسي، محمد بن الحسن، اختيار معرفه الرجال: ج٢، ص٨٥٧ . ٨٥٩.

١٤. الطوسي، محمد بن الحسن، الغيبة: ص٢٣٨، كما عدّه الشيخ الطوسي في رجاله من اصحاب الائمه الصادق والكاظم والرضا والجواد. انظر: رجال الطوسي: ص٢١٠و٣٥٨و٣٧٥)

١٥. الخوئي، معجم رجال الحديث: ج٢، ص٥٢.

١٦. الغيبة، للشيخ الطوسي: ص٣٩٠؛ الغفار، عبد الرسول: الكليني والكافي: ص٣٩٣.

١٧. رجال النجاشي: ص١٦.

١٨. ينظر: شناخت وتحليل مكتب حديثي قم، لمحمد رضا جباري (بالفارسية): ص١٠٢ . ١٣٣.
١٩. ينظر: الصدوق، محمد بن علي بن الحسين، كمال الدين وتمام النعمة (المقدمة): ص٦.
٢٠. القياس هو استخراج حكم لموضوع لم يرد فيه نص من حكم موضوع آخر ورد فيه نص.
٢١. الاستحسان هو ما يراه الفقيه حسناً في نظره بدون ان يستند الى دليل شرعي على ذلك.
٢٢. الصدوق، محمد بن علي بن الحسين، الاعتقادات في دين الإمامية: ص٤٢
٢٣. الصدوق، محمد بن علي بن الحسين، التوحيد، ج٢٦، ص٤٥٩
٢٤. المفيد، تصحيح الاعتقاد: ص٨٨
٢٥. ينظر: الصدوق، محمد بن علي بن الحسين، كتاب من لا يحضره الفقيه: ج١، ص٣٦٠، والظاهر ان مراد الصدوق ليس مجرد السهو، بل الإسهاء من قبل الله تعالى.
٢٦. الخوئي، أبو القاسم، معجم رجال الحديث: ج ٣: ص٤٩
٢٧. ينظر: العلامة الحلي، خلاصة الاقوال: ج١، ص٦٣.
٢٨. ينظر: الخوئي، أبو القاسم، معجم رجال الحديث: ج١٦: ص٢٦٤
٢٩. رجال النجاشي: ص١٨٥.
٣٠. هو احمد بن الحسين الغضائري المعروف بـ (ابن الغضائري) من علماء الإمامية في الحديث والرجال في القرنين الرابع والخامس الهجريين.
٣١. الواسطي البغدادي، أحمد بن الحسين الغضائري، رجال ابن الغضائري: ص٦٧؛ معجم رجال الحديث: ج٩، ص٣٥٦.
٣٢. ينظر: رجال النجاشي: ص٣٤٨؛ إن كتاب (نوادر الحكمة) من أشهر كتب الحديث فى ذلك العصر، وان محمد بن الحسين بن الوليد قد أيّدَ الكتاب واعتمده، إلا انه استثنى من رواتِه اكثر من عشرين راوياً وقال انهم ضعفاء، فرواية فهؤلاء يطلق عليها رد مستثنيات كتاب نوادر الحكمة.
٣٣. هو محمد بن علي بن إبراهيم بن موسى أبو جعفر القرشي الصيرفي الكوفي المشهور بأبي سمينة.
٣٤. الخوئي، معجم الرجال الحديث: ج١٧، ص٣١٩-٣٢٠.
٣٥. لمعرفة المزيد عن اسماء هؤلاء مراجعة: رجال النجاشي؛ ومعجم رجال الحديث.
٣٦. هو الإمام علي بن محمد الهادي (عليه السلام).
٣٧. رجال النجاشي: ص٣٢٩؛ المجلسي، بحار الأنوار: ج٥٤، ص٨١.
٣٨. الصدوق، محمد بن علي بن الحسين، كتاب من لا يحضره الفقيه: ج١: ص٣٥٩، ٣٦٠.
٣٩. ينظر: الطوسي، أبو جعفر محمد بن الحسن، الرسائل العشر: ص٩٧.

٤٠. وهذه الروايات وان كان لها طريق آخر غير سهل بن زياد، الا ان مجرد ذكر سهل في الأسانيد يدل على اعتباره نوعاً ما.
٤١. ينظر: الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج١، ص٢٤، ٧٤، ٣٦٩، ٤١٤، ٤٥٣؛ ج٢: ص٢٥٠، ٦٢٤، وغيرها.
٤٢. هو: علي بن حسكة القمي، من الغلاة في وقت علي بن محمد العسكري عليه السلام. التفرشي، مصطفى بن الحسين الحسيني، نقد الرجال: ج٣، ٢٤٢.
٤٣. ينظر: الميرزا النوري، حسين، خاتمة مستدرك الوسائل: ج٥، ص٢٤٤.
٤٤. المجلسي، بحار الأنوار: ج٢٥، ص٢٦٥.
٤٥. المصدر نفسه: ج٢٥، ص٣٤٦.
٤٦. الشيخ الصدوق، كتاب من لا يحضره الفقيه: ج١: ص٣٥٩ . ٣٦٠
٤٧. وقد روى الشيخ الطوسي زيارة الجامعة عن الشيخ الصدوق. انظر: تهذيب الأحكام: ج٦، ص٩٥.
٤٨. الشيخ الصدوق، كتاب من لا يحضره الفقيه: ج١، ص٣٥٩ . ٣٦٠.
٤٩. ان القميين إنما التزموا بجواز السهو على النبي لما روي في ذلك من أن النبى (صلى الله عليه وآله) قد سها في الصلاة وغيرها، وكانت هذه هي محل النزاع مع مدرسة بغداد التي كانت تنفي السهو مطلقاً عنه (صلى الله عليه وآله) بدليل العقل؛ فكان القميون يتهمون البغداديين بالغلو من هذه الناحية.
٥٠. شناخت وتحليل مدرسة حديثي قم، لمحمد رضا جباري: ص١٩٣ . ٢٤٨.
٥١. ينظر: الصدوق، علل الشرائع: ج١، ص٣، (المقدمة).

المصادر:

١. البلاذري، أحمد، فتوح البلدان، تحقيق ونشر وإلحاق د. صلاح الدين المنجد، مطبعة لجنة البيان العربي، نشر مكتبة النهضة المصرية، القاهرة ١٩٥٦هـ.

٢. التفرشي، مصطفى بن الحسين الحسيني، نقد الرجال، تحقيق ونشر: مؤسسة آل البيت لأحياء التراث . قم، ط/١ ١٤١٨هـ.

٣. جباري، محمد رضا، گنجينه آثار قم (فارسي)، معرفة وتحليل مدرسة الحديث في قم من بداية القرن الخامس الهجري، نشر: العتبة الرضوية، ط/١، ١٣٨٤هـ ش.

٤. الحلي، الحسن بن يوسف، خلاصة الأقوال في معرفة الرجال، تحقيق: الشيخ جواد القيومي، نشر مؤسسة الفقاهة، ط/١، ١٤١٧هـ.

٥. الحموي، ياقوت بن عبد الله، معجم البلدان، تحقيق فريد عبد العزيز الجندي، دار الكتب العلمية، بيروت . لبنان، ط/١ ١٤١٠هـ

٦. الخوئي، أبو القاسم بن علي أكبر، معجم رجال الحديث وتفصيل طبقات الرواة، نشر: مركز الثقافة الإسلامية، قم المقدسة، ط/٥، ١٤١٣هـ ١٩٩٢م.

٧. الصالحي، عبد الحسين، الحوزات العلمية في الأقطار الإسلامية، نشر: بيت العلم للنابهين بيروت – لبنان، ط/١، ١٤٢٥هـ – ٢٠٠٤م.

٨. الصدوق، أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين، علل الشرائع، تحقيق: السيد محمد صادق بحر العلوم، نشر: المكتبة الحيدرية ومطبعتها –النجف الأشرف –١٣٨٥هـ –١٩٦٦م.

٩. الصدوق، محمد بن علي بن الحسين، الاعتقادات في دين الإمامية، تحقيق: عصام عبد السيد، نشر: دار المفيد للطباعة والنشر –بيروت – لبنان، ط/٢، ١٤١٤هـ –١٩٩٣م.

١٠. الصدوق، محمد بن علي بن الحسين، التوحيد، تحقيق: السيد هاشم الحسيني الطهراني، نشر: منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية في قم المقدسة.

١١. الصدوق، محمد بن علي بن الحسين، كمال الدين وتمام النعمة، مؤسسة النشر الاسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المقدسة، ١٤٠٥هـ.

١٢. الصدوق، محمد بن علي، كتاب من لا يحضره الفقيه، تحقيق: علي أكبر الغفاري، نشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة، ط/٢.

١٣. صفري فروشاني، نعمت الله، غاليان (فارسي)، نشر: مؤسسة أستان قدس رضوي للبحوث الإسلامية، مشهد، ١٣٧٨هـ ش.

١٤. الطوسي، أبو جعفر محمد بن الحسن، الرسائل العشر، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين . قم المشرفة.

١٥. الطوسي، محمد بن الحسن، اختيار معرفة الرجال، تحقيق السيد مهدي الرجائي، نشر: مؤسسة آل البيت (عليهم السلام) مطبعة بعثت . قم، ١٤٠٤هـ.

١٦. الطوسي، محمد بن الحسن، تهذيب الأحكام، تحقيق وتعليق حسن الموسوي الخرسان، دار الكتب الإسلامية، مطبعة خورشيد، ط/٤، ١٣٦٥هـ ش.

١٧. الطوسي، محمد بن الحسن، رجال الطوسي، تحقيق جواد القيومي، نشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة، ط/١ . ١٤١٥هـ.

١٨. الطوسي، محمد بن الحسن، كتاب الغيبة، تحقيق: عبد الله الطهراني . على أحمد ناصح، الناشر: مؤسسة المعارف الإسلامية، قم المقدسة، ط/١، ١٤١١هـ.

١٩. الغفار، عبد الرسول: الكليني والكافي، طبع ونشر: مؤسسة النشر الاسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة، ط/١، ١٤١٦هـ.

٢٠. فيض قمي، عباس، گنجينه آثار قم، (فارسي)، سنة الطبع: ١٣٤٩هـ ش.

٢١. الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي، تعليق: علي أكبر الغفاري، الناشر: دار الكتب الاسلامية. طهران، ط/٣، ١٣٦٧هـ.

٢٢. المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار، نشر مؤسسة الوفاء . بيروت . لبنان، ط/٢، ١٤٠٣هـ . ١٩٨٣م.

٢٣. المفيد، محمد بن محمد بن النعمان، تصحيح اعتقادات الإمامية، دار المفيد للطباعة والنشر، بيروت . لبنان، ط/٢، ١٤١٤هـ . ١٩٩٣م.

٢٤. الميرزا النوري، حسين، خاتمة مستدرك الوسائل، تحقيق ونشر مؤسسة آل البيت لإحياء التراث،

قم المقدسة، ط/١، ١٤١٦هـ.

٢٥. النجاشي، أحمد بن علي بن أحمد: رجال النجاشي، نشر مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة، ط/٥، ١٤١٦هـ.

٢٦. الواسطي البغدادي، أحمد بن الحسين الغضائري، رجال ابن الغضائري، تحقيق: محمد رضا الجلالي، نشر: دار الحديث للطباعة والنشر، إيران . قم، ط/١، ١٤٢٢ هـ ق . ١٣٨٠هـ ش.